

العلامة محمد العبودي مثل بارز للإنتاج العلمي والعملية

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) كما هي عادتني القاصرة في ضرب الأمثال القدوة التي عرفتها في حياتي مثل آل الجميح الذين أوصلوا مياه الشرب لكل منزل في شقراء في زمن تعود فيه المواطنون المأخذ لنا العطاء، وقريباً من ذلك أو خيراً منه صرفهم رواتب أكثر دعاة الشيخ ابن باز أثابه الله وأثابهم في آسيا وضي تركيا ومصر، إضافة إلى أكثر من (80) ممن اخترتهم حسب رغبتهم من الدعاة إلى صحيح الاعتقاد وصحيح العبادات والمعاملات، ومثل الشيخ ابن باز رحمه الله الذي جمع الله له من العلم والعمل والخلق الشرعي ما لا أعلم أنه اجتمع لغيره؛ يسرني في هذه الأسطر أن أضرب مثلاً بارزاً للعبودي المتميز بجدّه وهمته وسيرته العلمية والعملية: معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي (الإداري التربوي اللغوي المؤرخ...) وقد عرفه أكثر المواطنين بما يذاع من سيرته في السفر تعرفاً وتعريفياً بكل بلد على وجه الأرض تحتاج مؤسسات الدعوة إلى الله التي عمل فيها إلى معرفة أحوال مواطنيها من المسلمين ولو كانوا قلة لا تكاد تذكر.

ومعالي الشيخ العبودي عالم من الطراز الأول: ضليع في العلوم الشرعية وضليع في علوم آلتها، وبوتقة ربّانية جمع الله فيها العلم والعمل والمواهب.

طلب العلم على فحول العلماء مثل الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عمر بن سليم والشيخ عبد الله بن حميد والشيخ صالح الخريصي رحمهم الله جميعاً.

(2) كان أول أعماله: إدارة مكتبة جامع بريدة، ثم التدريس في أول مدرسة عصرية في بريدة، وكانت إحدى (9) مدارس أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بافتتاحها في نجد، وكانت مدرستني في شقراء إحداهما ولكن تأخر افتتاحها مع مدرسة الرياض بضعة أعوام، ولعلّ الخير في ذلك فقد رحّب الأهالي بقدمها بينما ضاق بها أهل بريدة خوفاً من سوء تأثيرها على أولادهم، وزاد خوفهم باستيراد إداريين ومدرسين من أهل الحجاز وفيهم الحليق والمدخن وهو ما لم ي عرف في بريدة من قبل.

(3) وكانت وظيفته الثالثة مديراً للمدرسة الثانية في بريدة.

(4) ولما منّ الله على الملك سعود رحمه الله بفتح المعهد العلمي (الديني) في الرياض عام 1370 (وكان ولياً للعهد ولكن والده الملك عبد العزيز رحمهما الله قد سلّمه دفة الحكم قبل وفاته بخمس سنين في رواية حمد الجاسر وثلاث سنين في رواية عبد الله فلبني)، ثم فتح المعهد العلمي ببريدة واختار الشيخ محمد بن إبراهيم تلميذه الشيخ محمد بن ناصر العبودي لإدارته، وزاد عدد هذه المعاهد المباركة على (60) معهداً في الداخل والخارج.

(5) وفي عام 1380 من الله على الملك سعود رحمه الله بإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم لتعليم المسلمين من خارج المملكة المباركة الاعتقاد الصحيح والعبادات والمعاملات الصحيحة كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأهداها (28) بيتاً من بيوت قصره كانت أول مأوى لها، واختار الشيخ محمد بن إبراهيم تلميذه محمد بن ناصر العبودي مديراً لها مع الشيخ ابن باز رحمه الله نائباً للرئيس في أعلى مرتبتين بالجامعة، وبدأت رحلات العلامة الشيخ محمد العبودي إلى أدنى الأرض وأقصاها.

(6) ولما أنشئت الهيئة العليا للدعوة برئاسة الأمير سلطان رحمه الله اختار الأمير سلطان العلامة العبودي ليكون يده اليمنى في الهيئة.

(7) ثم اختاره ولادة الأمر أميناً عامّاً مساعداً لرابطة العالم الإسلامي فواصل رحلته العلمية الدعوية إلى بقية أقطار الأرض، حتى ناهز السنته التسعين من عمره المقصود على العلم والتعلم والتعليم.

(8) وتعلم من مشايخه - زيادةً على مسائل الاعتقاد والعبادات والمعاملات، وزيادةً على لغة القرآن والسنة وعلوم القرآن وأصول الفقه ومصطلح الحديث والتاريخ والسيرة - أخلاق العلماء بشرع الله في حركاته وسكناته وحديثه، ومع حبه للمرح فلم أراه زاد على الابتسام عند روايته أو إنصاته لرواية غيره طرفة تعجبه، ولم أسمعه رفع صوته غضباً من قول أو عمل لا يرضيه، ولعله أخذ من شيخه العلامة عبد الله بن حميد رحمه الله - بخاصة - المرح والتسامح ولين الجانب للجميع؛ من يوافقهم ومن يخالفه.

(9) ظلمه بعض الكتاب الجهلة بشرع الله فلزوه في قرن مع ابن بطوطة المغربي، ولما ساء، فإن جُلَّ رحلات العلامة العبودي كانت في خدمة دولة التجديد والتوحيد والسنة والدعوة إلى ذلك بينما كانت رحلة ابن بطوطة لإرضاء شهوة في نفسه، ويروى أن ابن بطوطة قضى بضعة وعشرين عاماً في الترحال على الدواب والسفن المشراعية فله ما لاقى من عنق، وعليه أن أكثر وقته ضاع قبل الوصول إلى غايته في آسيا وأفريقيا، والبرتغال بحثاً عن بحر الظلمات، وأملى ما ادعاه من رحلته على محمد بن محمد بن جزي رحمه الله في مجلد واحد، وشك الباحثون في وصوله إلى الصين بل إلى صنعاء مثلاً، ولعله خلط بين ما رأى وما روي له عن مثل سد يأجوج ومأجوج، وأوثق دليل على ذلك كذبه على ابن تيمية رحمه الله أنه رآه يخطب الجمعة ويقول: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا مثل نزولي درج هذا المنبر، وابن تيمية رحمه الله لما يشبه صفات الخالق عز وجل بصفات المخلوق أبدأ بل ينكر على المشبهة أشد المنكر، ولم يصل ابن بطوطة دمشق في روايته إلا بعد سجن ابن تيمية الذي مات فيه، عوضه الله بمقعد صدق عند مليك مقتدر.

أمّا شيخنا العلامة العبودي زاده الله من فضله فكانت أسفاره كلها بالطائرة فيصل إلى غايته في كل أقطار الأرض في ساعات معدودة.

واستمرت رحلاته نحو نصف قرن، وكتب عنها - عوضاً عن كتاب ابن بطوطة (تحفة النظار) الذي خطه ابن جزي رحمه الله - نحواً من (136) كتاباً - طبع منها أكثر من (100) كتاب - إضافة إلى (16) في الدعوة و(30) في اللغة والأدب وغيرها،

ولعل أول كتاب له طبع له: (الأمثال العامية في نجد - 5 مجلدات) وأكبرها موسوعته عن بلاد القصيم وعن أسرار القصيم.

(10) وهو - مع ستمته وعلمه ووظائف عمله الحكومي التي منحه الله أكبرها منذ عام 1380 ونصف قرن بعده - يأخذ بنهج الرعيل الأول ممن جمعوا بين العلم والعمل الشرعي والمجد في الإنجاز وبين مراعاة المسحة والسعة في الدين ما اجتنبت المحرمات وأديت الواجبات كما قال عنهم علم شقراء العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل زاده الله من فضله.

ولكنه كان يصبر على حنبلية (أوي) - باللفظ المصري - عندما كنت أردد جميله - بإهدائي مؤلفاته المتميزة - بإلحاحي على أن تكون الأولوية والأغلبية لنشر إضراد الله بالدعاء وغيره من العبادة والنهي عن صرف ذلك لغير الله، نساء الله في أثره.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن الحصي عفا الله عنه، تعاوننا على البر والتقوى، بمكة المباركة في 1435/3/12هـ.